والمعنى ان المقصود من بعثة الرسل هو ارشاد الخلق الى معرفة الله وتوحيده والايمان به والاشتغال بعبادته وانذارهم
خلاف ذلك وهذا المقصود يحصل بانزال الكتاب جملة واحدة وبانزاله نجوما متفرقة بل انزاله متفرقا اولى وذلك ان النفوس
قبل بعثة الرسل وانزال الكتب عليهم لم تكن تعرف شيئا من العبادات ولم تألفها فاذا انزل الكتاب جملة واحدة وفيه جميع التكاليف
ربما حصل في بعض نفوس العباد نفور من تلك التكاليف ويثقل عليهم كما اخبر الله عن قوم موسى بقوله تعالى واذ نتقنا
الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فلم يقبلوا احكام التوراة الا بعد شدة
فلهذا السبب كان انزال القرآن نجوما متفرقة اولى وقوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يعني بعد ارسال
الرسل وانزال الكتب والمعنى لئلا يحتج الناس على الله في ترك التوحيد والطاعة بعدم الرسل فيقولوا لولا ارسلت الينا
رسولا وما انزلت علينا كتابا ففيه دليل على ان الله لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل انه لو لم يبعث الرسل لكان للناس
عليه حجة في ترك التوحيد والطاعة وفيه دليل على ان الله لا يعذب الخلق قبل بعثة الرسل كما قال الله تعالى وما
كنا معذبين حتى نبعث رسولا وفيه دليل لمذهب اهل السنة على ان معرفة الله تعالى لا تثبت الا بالسمع لان قوله
لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يدل على ان قبل بعثة الرسل تكون لهم الحجة في ترك الطاعات والعبادات
فان قلت كيف يكون للناس حجة قبل الرسل والخلق محجوجون بما نصب من الادلة التي النظر فيها
موصل الى معرفته ووحدانيته كما قيل وفي كل شيء له آية تدل على انه واحد **قلت** الرسل منبهون
عن رقاد الغفلة والجهالة وباعثون للخلق الى النظر في تلك الدلائل التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى ومبينون
لها وهم وسائط بين الله وبين خلقه ومبينون احكام الله تعالى التي افترضها على عباده ومبلغون رسالاته اليهم ق
عن المغيرة بن شعبة قال قال سعد بن عبادة لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير مني من اجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر
منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد احب اليه المدحة
من الله من اجل ذلك وعد الجنة لفظ البخاري وفي لفظ مسلم ولا شخص احب اليه من الله ومن اجل ذلك بعث الله
المرسلين مبشرين ومنذرين وقوله تعالى وكان الله عزيزا يعني في انتقامه ممن خالفه وعصى رسله
حكيما يعني في ارساله الرسل قوله تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه قال ابن عباس دخل على رسول الله صلى الله عليه
وسلم جماعة من اليهود فقال لهم اني والله اعلم انكم لتعلمون اني رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك فانزل الله هذه الآية وفي رواية
عن ابن عباس قال ان رؤساء مكة اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انا سألنا عنك اليهود وعن صفتك في
كتابهم فزعموا انهم لا يعرفونك فانزل الله عز وجل لكن الله يشهد بما انزل اليك يعني ان جحدك هؤلاء اليهود يا محمد وكفروا بما
اوحينا اليك وقالوا ما انزل الله على بشر من شيء فقد كذبوا فيما ادعوا فان الله يشهد لك بالنبوة ويشهد بما انزل اليك من كتابه
ووحيه والمعنى ان اليهود وان شهدوا ان القرآن لم ينزل عليك يا محمد لكن الله يشهد بانه انزل عليك وشهادة الله انما عرفت
انه انزل هذا القرآن البالغ في الفصاحة والبلاغة الى حيث عجز الاولون والآخرون عن معارضته والاتيان بمثله
فكان ذلك معجزا واظهار المعجزة شهادة بكون المدعي صادقا فلا جرم قال الله تعالى لكن الله يشهد لك يا محمد بالنبوة بواسطة
هذا القرآن الذي انزله عليك انزله بعلمه يعني انه تعالى لما قال لكن الله يشهد بما انزل اليك بين صفة ذلك الانزال وهو انه
تعالى انزله بعلم تام وحكمة بالغة معناه انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله عليك وانك مبلغه الى عباده وقيل معناه
انزله بما علم من مصالح عباده في انزاله عليك والملائكة يشهدون يعني يشهدون بان الله انزله عليك ويشهدون بذلك
وانما عرفت شهادة الملائكة لان الله تعالى اذا شهد بشيء شهدت الملائكة بذلك الشيء وقد ثبت ان الله يشهد بانه
انزله بعلمه فلذلك الملائكة يشهدون بذلك وكفى بالله شهيدا يعني وحسبك يا محمد ان الله يشهد لك وكفى بالله شهيدا

وان

وان لم يشهد معه غيره ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن شهادة اهل الكتاب له فان الله يشهد له وملائكته
كذلك قوله عز وجل ان الذين كفروا يعني جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود وصدوا عن سبيل الله يعني
منعوا غيرهم عن الايمان به باخفاء صفته والقاء الشبهات في قلوب الناس وهو قولهم لو كان محمد صلى الله عليه وسلم رسولا
لاتى بكتاب من السماء جملة واحدة كما اتى موسى بالتوراة قد ضلوا ضلالا بعيدا يعني عن طريق الهدى ان الذين كفروا
وظلموا يعني كفروا بالله وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتمان صفته وظلموا غيرهم بالقاء الشبهات في قلوبهم لم يكن الله
ليغفر لهم يعني لمن علم منهم انهم يموتون على الكفر وقيل معناه لم يكن الله ليستر عليهم قبائح افعالهم بل يفضحهم
في الدنيا ويعاقبهم عليها بالقتل والسبي والجلاء وفي الآخرة بالنار وهو قوله تعالى ولا ليهديهم طريقا يعني ينجون فيها
من النار وقيل ولا ليهديهم طريقا الى الاسلام لانه قد سبق في علمه انهم لا يؤمنون الا طريق جهنم يعني لكنه يهديهم
الطريق تؤدي الى جهنم وهي اليهودية لما سبق في علمه انهم اهل لذلك خالدين فيها يعني في جهنم ابدا وكان ذلك على الله
يسيرا يعني هينا قوله عز وجل يا ايها الناس هذا خطاب عام يدخل فيه جميع الكفار من اليهود والنصارى وعبدة
الاصنام وغيرهم وقيل هو خطاب لمشركي العرب قد جاءكم الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق يعني بالدين الاسلام
الذي ارتضاه الله لعباده وقيل جاء بالقرآن الذي هو الحق من ربكم يعني من عند ربكم فآمنوا خيرا لكم يعني فآمنوا
بما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم يكن الايمان بذلك خيرا لكم يعني من الكفر الذي انتم عليه وان تكفروا يعني وان تجحدوا
رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذبوا بما جاءكم به من الحق من ربكم فان لله ما في السموات والارض يعني فان الله هو
الغني عن ايمانكم لان له ما في السموات والارض ملكا وعبيدا ومن كان كذلك لم يكن محتاجا الى شيء وانه قادر على
ما يشاء وكان الله عليما يعني بما يكون منكم لا يخفى عليه شيء من اعمال عباده حكيما يعني في تكليفكم مع علمه بما يكون منكم
قوله عز وجل يا اهل الكتاب نزلت هذه الآية في النصارى وذلك ان الله تعالى لما اجاب عن شبه اليهود فيما تقدم
من الآيات اتبع ذلك بابطال ما تعتقده النصارى واصناف النصارى اربعة اليعقوبية والملكانية والنسطورية
والمرقوسية فاما اليعقوبية والملكانية فقالوا في عيسى انه الله وقالت النسطورية انه ابن الله وقالت المرقوسية
ثالث ثلاثة وقيل انهم يقولون ان عيسى جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس
وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن عيسى وباقنوم روح القدس الحياة الحالة فيه فتقديره
الالهة ثلاثة وقيل انهم يقولون في عيسى ناسوتية ولاهوتية فناسوتيته من قبل الام ولاهوتيته من قبل
الاب تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا فقيل ان الذي اظهر هذا للنصارى رجل من اليهود يقال له بولص ودس هذا في دين
النصارى ليضلهم بذلك وسيأتي قصته في سورة التوبة ان شاء الله تعالى وقيل يحتمل ان يكون المراد باهل الكتاب
اليهود والنصارى جميعا فانهم غلوا في امر عيسى عليه السلام فاما اليهود فانهم بالغوا في التقصير في امره حتى حطوه عن
منزلته حيث جعلوه مولودا لغير رشدة وغلت النصارى في رفع عيسى عن منزلته ومقداره حيث جعلوه الها فقال
الله تعالى رادا عليهم جميعا يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم واصل الغلو مجاوزة الحد وهو في الدين حرام والمعنى لا تفرطوا
في امر عيسى ولا تحطوه عن منزلته ولا ترفعوه فوق قدره ومنزلته ولا تقولوا على الله الا الحق يعني لا تقولوا ان له
شريكا وولدا وقيل معناه لا تصفوه بالحلول والاتحاد في بدن الانسان ونزهوا الله تعالى عن ذلكم ولما منعهم الله من
الغلو في دينهم ارشدهم الى طريق الحق في امر عيسى عليه السلام فقال تعالى انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله يعني انما
المسيح هو عيسى بن مريم ليس له نسب غير هذا وانه رسول الله فمن زعم غير هذا فقد كفر واشرك وكلمته هي قوله تعالى كن فكان
بشرا من غير اب ولا واسطة القاها الى مريم يعني اوصلها الى مريم وروح منه يعني انه كسائر الارواح التي خلقها
الله وانما اضافها الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم كما يقال بيت الله وناقة الله وهذه نعمة من الله يعني انه هو

Copyright © King Saud University